

الفصل السادس

أمثلة تطبيقية من الأساليب النشوية

١-٦ .

ذكرنا فيما سبق (ف ٥ - ٥ - ٥) أن منحني ن ف ص في إنتاج أى كاتب يرتبط عادة بمراحل العمر ، فيميل إلى تسجيل قيم عالية في الطفولة والشباب ثم يتجه إلى الانخفاض في الكهولة . ومن ثم فإن قياس ن ف ص في أعمال مؤلف ما بعد تربيتها تاريخيا يكشف في العادة عن وجود ميل إلى انخفاض قيمتها في نتاج المراحل المتأخرة من العمر بالنسبة لنتاج المراحل المتقدمة منه .

وحيث خطر لنا أن نعالج عامل العمر وأثره على تطور ن ف ص في نتاج مؤلف ما رأينا أن نقوم بفحص الأجزاء الثلاثة من «الأيام» لظه حسين حيث الترتيب الزمني في تأليفها وترتيب نشرها مقطوع به^(١) . وقد اخترنا للدراسة عينة عشوائية تتكون من ٣٠٠ جملة وزعت على الأجزاء الثلاثة بواقع ١٠٠ جملة لكل جزء . وتحققت عشوائية العينة باختيارها على النحو التالي :

(١) نشر الجزء الأول من الأيام مسلسلا في «الهملا» من ١٩٢٦/٢/١ إلى ١٩٢٦/٧/١ . أما الجزء الثالث فقد نشر مسلسلا في «آخر ساعة» من ١٩٥٥/٣/٣٠ إلى ١٩٥٥/٦/٢٩ أسبوعيا .

يتكون الجزء الواحد من ٢٠ فصلا . وباختيار الجمل الخمس الأولى من كل فصل أصبح مجموع الجمل المختارة للجزء الواحد ١٠٠ جملة ، وللأجزاء الثلاثة ٣٠٠ جملة .

وبحساب ن ف ص فى الأجزاء الثلاثة ، وبالطريقة التى أسلفنا شرحها (ف ٥ - ٣) حصلنا على النتائج الآتية :

الجزء الأول : ن ف ص = ٤٦

الجزء الثانى : ن ف ص = ٣٨

الجزء الثالث : ن ف ص = ٣٤

وتشير هذه النتائج إلى أن قيمة ن ف ص تتناقص تناقصا تدريجيا فى الأجزاء الثلاثة على الترتيب ، وإلى تقارب قيمة ن ف ص فى الجزئين الثانى والثالث بحيث لا يتجاوز الفرق بينهما ٤ . مما يشير إلى احتمال وصولها فى أواخر العمر إلى معدل أكثر استقرارا . وأما الفارق ما بين الجزء الأول والجزء الثانى فهو أكثر وضوحا (٠.٨) ، وما بين الجزء الأول والثالث ١.٢ . وهكذا يبدو أن الفرض الذى سقناه يمكن فى ضوء النتائج الاحصائية أن يكون صحيحا .

٦-٢ .

ونحن نتوقع من السيرة الذاتية باعتبارها جنسا أدبيا قوامه القصة والسرد الشخصى والحديث عن الذكريات والمواقف المؤثرة على الكاتب منذ طفولته الباكرة إلى أن استوى كهلا مجرأ - أن تتميز باتجاه ن ف ص فيها نحو الارتفاع النسبى فى مقابل النصوص التى يكتبها الكاتب ليعالج بها قضية علمية أو اجتماعية .

ولقد برهن حسابنا لقيمة ن ف ص فى كتاب آخر من كتب طه حسين هو «مستقبل الثقافة فى مصر» على صحة هذا الفرض إذا ما قورنت بقيمة ن ف ص فى «الأيام» . والفارق بين الموضوعين واضح ، فعلى حين ينتمى «الأيام» إلى فن السيرة الذاتية يتناول الكتاب الثانى آراء طه حسين فى نظام التعليم ، وطرق اصلاحه فى مصر ، وتحديد الانتماء الثقافى لها .

وقد اخترنا للمقارنة ٢٠٠ جملة من الكتاب الثانى موزعة على فصوله الثلاثين بواقع ١٠ جمل للفصل . وكانت الجمل المختارة هى العشر الأولى من كل فصل .

وبحساب ن ف ص فى الكتاب خرجنا بأن قيمتها تبلغ (٢٠٠) . وهذه النتيجة ظاهرة الدلالة على أن للموضوع The Theme أثرا على قيمة ن ف ص حتى فى أسلوب الكاتب الواحد ، فبينما بلغت قيمتها فى الجزء الأول من الأيام (٦ و ٤) ، (انظر ٦ - ١٠) نجدها فى «مستقبل الثقافة فى مصر» لم تتجاوز (٠ و ٢) بفارق وصل إلى (٦ و ٢) وهذا الفارق الكبير نسبيا يقل تدريجيا ليصبح (١٨) بين مستقبل الثقافة والجزء الثانى من الأيام ، ومن ثم يكون هذا دليلا جديدا على أن فرضية بوزمان الأولى القائلة بثبات هذه النسبة عند المنشى . بقطع النظر عن الموضوع الذى يتناوله تبدو غير صحيحة .

جانب آخر يختلف فيه أسلوب «الأيام» عن «أسلوب مستقبل الثقافة فى مصر» وهو مدى ن ف ص The Range .

ونعنى بالمدى هنا الفرق بين أعلى قيمة سجلتها ن ف ص فى العمل الأدبى وبين أقل قيمة وصلت إليها .

ويتم حساب المدى بطرح أقل قيمة من أعلى قيمة . وهذا المدى قد يختلف من منشى إلى آخر ومن عمل أدبى إلى آخر ، وهو اختلاف له دلالة أيضا .

وبحساب المدى فى «الأيام» سنجد أن أعلى قيمة سجلتها ن ف ص كانت فى فصل الثالث عشر من الجزء الثالث وقد بلغت (١٧ر٠) ، أما أقل قيمة لها فقد سجلتها العينة المأخوذة من الفصل الأول فى الجزء الأول وكانت (٠ر١) . وبالطرح ينتج أن :

$$\text{مدى ن ف ص فى «الأيام»} = ١٧ر٠ - ٠ر١ = ١٦ر٩ .$$

وبحساب المدى فى «مستقبل الثقافة» وجد أن أعلى قيمة سجلتها ن ف ص كانت فى الفصل السابع والعشرين (٥ر٤) وأقل قيمة لها كانت فى الفصل الثالث (١ر١) . وعلى ذلك ينتج أن :

$$\text{مدى ن ف ص فى «مستقبل الثقافة»} = ٥ر٤ - ١ر١ = ٤ر٣ .$$

هذه النتيجة تؤكد فى رأينا مرة أخرى أثر الموضوع على ن ف ص وعلى مدى ن ف ص فى نفس الوقت ، حيث موضوعات «الأيام» بحكم كونها ذكريات ومذكرات أكثر تنوعا وتشعبا من موضوع «مستقبل الثقافة» وهكذا يرتبط المدى وتنوع النسبة بتنوع الموضوعات .

٦-٣ .

على أننا إذا انتقلنا بالسيرة الذاتية من طه حسين إلى كاتب آخر ذى أسلوب متميز هو عباس محمود العقاد فى كتابه «حياة قلم» ، وجدنا نمطا مختلفا من الكتابة يكاد يجمع القراء على أنه يتسم بالذهنية والصعوبة النسبية إذا ما قورن بأسلوب طه حسين .

والحق أن حساب ن ف ص فى الكتابين يقودنا إلى فروق ذات دلالة . ولتحقيق المقارنة قمنا باختيار عينة عشوائية من «حياة قلم» تتكون من ٣٠٠ جملة . وقد اشتمل فهرس الكتاب على ثلاثة عشر فصلا اخترنا من كل منها أول ثلاث وعشرين جملة باستثناء الفصل الأخير الذى اخترنا منه أربعاً وعشرين جملة .

وحساب قيمة ن ف ص فى كتاب العقاد من العينات المذكورة وجدناها تبلغ (١٦٨) .

أما المدى فى كتاب العقاد فقد بلغ (٣٣٣) ، وذلك نتيجة حساب الفرق بين أعلى قيمة وهى ٤١٤ (وقد سجلتها ن ف ص فى الفصل المعنون « ذكريات وشخصيات ») وبين أقل قيمة وهى ١٦٨ (وقد سجلتها ن ف ص فى الفصل المعنون « دين وفلسفة ») .

ولتسهيل المقارنة نضع نتائجها فى الصور الآتية :

جدول (١)

الكتاب	قيمة ن ف ص	المدى
الأيام	* ٣٣٩	١٦٨
حياة قلم	١٦٨	٣٣٣

ونعتقد أن الأرقام المتضمنة فى الجدول (١) ظاهرة الدلالة على أمور :

أولها : أن أسلوب « الأيام » أقرب إلى الطابع الأدبى والانفعالى على حين يبدو الطابع الذهنى العقلانى أكثر ظهورا فى أسلوب « حياة قلم » .

ثانيا : أن أسلوب الأيام أكثر حساسية واستجابة لتنوع الموضوع كما يتضح فى حساب المدى ، على حين تبدو شخصية العقاد هى المسيطرة على أسلوبه مما يضعف أثر الموضوع على قيمة ن ف ص فى كتابته . .

(*) هذا الرقم هو متوسط قيمة ن ف ص فى الاجزاء الثلاثة كما ذكرناه فى ف ٦ - ١ . من هنا الكتاب .

ثالثا : أنه على الرغم مما قررناه فى شأن كتابة العقاد من ضعف أثر الموضوع على أسلوبه فإننا نجد أن هذا الأثر لم يخف اختفاء تاما . ويكفى فى هذا الصدد أن نلاحظ أن أعلى قيمة سجلتها ن ف ص فى «حياة قلم» كانت فى فصل بعنوان «ذكريات وشخصيات» وأن أقل قيمة لها كانت فى فصل بعنوان «دين وفلسفة» كما ذكرنا ، ونعتقد أن مجرد المقارنة بين العنوانين يوحى بأثر الموضوع على تغير قيمة ن ف ص .

رابعاً : اننا نتوقع فى ضوء هذه الأرقام أن تمثل دلالة ن ف ص خاصية من الخصائص الأساسية التى يمكن أن نميز بها بين أسلوب العقاد من أسلوب طه حسين . وأنها تصلح مؤشرا لتشخيص أسلوبى الكاتين من حيث درجة الموضوعية ، وخاصيتا الاتفاعلية والذهنية ، وكذلك من حيث السهولة والصعوبة ^(١) . ثم إن هناك فرقا جوهريا بين الأسلوبين يتعكس على نسبة الافعال إلى الصفات فيهما ، ذلك أن أسلوب العقاد فى كتابته أسلوب كتابى خالص ، أما أسلوب طه حسين فيتقع وسطا ما بين أسلوب الحديث وأسلوب الكتابة نظرا لأن جميع كتبه مملأة بطبيعة الحال . ولقد ذكرنا من قبل أن لغة الحديث تتميز بارتفاع قيمة ن ف ص فيها على لغة الكتابة . وقد التفت العقاد إلى هذه الخاصية فى أسلوب طه حسين ، وميزها ببصيرته النفاذة ، ونعنى بهذه الخاصية وقوع أسلوبه وسطا بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، فقال عنه : «إنه يكتب ولا ينسى أنه يتحدث ، ويتحدث ولا ينسى أنه يكتب» ^(٢) . وهذا دليل آخر على حساسية المقياس ودقته .

(٢) ثمة مقاييس خاصة لقياس درجة صعوبة الأسلوب . وقد استخدمنا واحدا منها فى بحث لنا بعنوان : «قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب : دراسة لنماذج من كتابات الراقى والعقاد وطه حسين» حولية كلية الآداب ، جامعة الملك عبدالعزيز ، مج ١ ، ١٩٨١ ، ص ١٤٩ - ١٦٩ .

(٣) العقاد : حياة قلم ، القاهرة ، مكتبة غريب ، بدون تاريخ ص ٢٤١ .

٤-٦ .

وإذا افترضنا أن النصوص التي اتخذناها موضوعا للمقارنة من «الأيام» و «مستقبل الثقافة في مصر» و «حياة قلم» تنتمي إلى الأسلوب الأدبي بدرجات متفاوتة ، فإن النشر الصحفي في عصرنا الحاضر بشكل أحد الاستعمالات المتميزة للغة العربية المعاصرة ، كما أنه يختلف من وجوه كثيرة عن النشر الذي كان سائدا في الصحافة العربية في أواخر القرن التاسع وأوائل العشرين .

ونعتقد أن حساب قيمة ن ف ص في لغة الصحافة يمكن أن يمدنا بمؤشرات هامة في مجال تشخيص الأساليب الصحفية سواء درست دراسة ديناميكية أو استاتيكية^(٤) . والفرضية التي تبدو لي صحيحة في هذا المجال أن لغة الصحافة اليوم تتميز باتجاه واضح نحو زيادة استعمال الصفات على الأفعال وهي تتميز بالتالي بانخفاض قيمة ن ف ص إذا ما قورنت بصحافة الأمس .

ونظرا لأن المادة المتاحة لنا أثناء تأليفنا لهذا الكتاب لم تمكننا من دراسة هذا الجانب دراسة مستوعبة فسكنفتي باختيار الجانب الثاني من الفرض وهو الخاص بلغة الصحافة المعاصرة . وقد قمنا بحساب قيمة ن ف ص في أخبار الصفحة الأولى من جريدة «الندوة» السعودية (بتاريخ ١٤٠٠/٣/٦ هـ - ١٤٠٠/١/٢٤ م) ، وجريدة «الشرق الأوسط» (بتاريخ ١٤٠٠/٣/٨ هـ - ١٤٠٠/١/٢٦ م) ، وكانت النتائج على النحو التالي :

جريدة «الندوة» : ن ف ص = ٧ .

جريدة «الشرق الأوسط» : ن ف ص = ٧ .

(٤) انظر ف ٣ - ٥ من هذا الكتاب .

مقال المحرر في «الندوة» : ن ف ص = ٦ر.

مقال المحرر في «الشرق الأوسط» : ن ف ص = ٨و.

وفي ضوء هذه النتائج يمكن تسجيل الملاحظين الآتيتين :

١- انخفاض قيمة ن ف ص في الأسلوب الصحفي بالنسبة لغيره من الأساليب الأدبية.

٢- تجانس الأسلوب الصحفي في الصحف السعودية (وربما العربية) من حيث هذه الخاصية .

أما دراسة تطور الأسلوب الصحفي تاريخياً فأمراً نرجو أن يتاح المجازة لنا أو لغيرنا من الباحثين . وهو مجال جدير بأن تنصرف إليه البحوث اللغوية والأسلوبية الجادة .